جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية/ الدراسات العليا

المُنْصِفات في الشعر الجاهلي

(دراسة في ضوء نظرية القراءة والتلقي)

أُطروحةٌ تَقَدَّمَ بها الطالبُ

رعد ماموك حسين

إلى مجلسِ كليةِ التربيةِ للعلومِ الإنسانيةِ في جامعةِ ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجةِ الدكتوراه في فلسفةِ اللغةِ العربيةِ وآدابها.

بإشراف

أ.د. لؤي صيهود فواز التميمي

Abstract

Fair poetry is considered an art of poetry whose origins were rooted in pre-Islamic poetry. As for the theory of reading and reception, it is a Western theory that emerged. To explain the concepts of this theory and the concept of fair poetry, the researcher intended to introduce them in the introduction to this thesis, and the researcher chose to have the first chapter devoted to the consequences of attracting the reader. Which the poets resorted to in that poetry. The second chapter was in explaining the most prominent concepts of the theory of reading and reception, which is the horizon of expected and unexpected expectation and their application in fair poetry. The third chapter was devoted to explaining another concept of that theory, which is the real reader and the implicit reader, and this concept was studied. On the poetry of the fairs, and one of the most prominent results that emerged in this thesis is that the theory of reading and reception has its origins in Arab thought. The first chapter witnessed the disparity in the proportions of poetic purposes in the poetry of the fairs, and the horizon of expected and unexpected expectations was present in the poetry of the fairs, as was shown in the second chapter and became evident. The appearance of the real and implicit reader in this is poetry, as the thesis explained in its third chapter. This is the most prominent thing we have concluded in this thesis. Success is only from God, the Mighty, the Wise.

الفصل الأول

مآلات استقطاب القارئ

اضاءة :

دعتنا طبيعة البحث أن لا نغفل عن دراسة المآلات التي وظفها الشعراء في استقطاب القارئ لأسباب عدة تتبادر إلى الذهن من أبرزها لو أردنا تبويب شعر المنصفات ما هي أبرز المآلات التي أرتكز عليها شعراء المنصفات وما المآل الذي شكلَ الحيز الأكبر على المآلات الأخرى ونحن نستعرض في بيان مآلات الشعراء لابد من الإشارة إلى موضوع مهم إنه من العُسر أن تحصر القصيدة الجاهلية ومنها قصائد المنصفات في مآل ومنوال واحد كون إن الشعراء يبثون في قصائدهم أكثر من موضوع يتناغم مع ما يربو ويهدف اليه الشاعر فبينما تراه يفتتحُ قصيدتهِ مبلورةً بهدف ومآل معين نجده يغاير وينقلب عن مآله الأول إلى مآل جديد غير متوقعاً ومستدعياً بذلك المتلقي إلى قراءة جديدة يخالف ما كان متوقعه من الشاعر كما سنبين في الفصل الثاني من اطروحتنا الآنية وهذه القضية ليست معاصرة بل عانى بعض الدارسون السابقون منها ولقد((نظر الاقدمون في الشعر العربي للتعرف على فنونه وموضوعاته وتصنيفها ووضع كلّ منها تحت العنوان الذي يناسبه فاختلفوا اختلافاً كبيراً لاختلاف المنهج))[1], ناهيكَ عن صعوبة تبويب بعض القصائد في مآل معين كون ان بعض القصائد تحمل أكثر من معنى وان هناك ((مستوى ثانياً يختبئ وراء المعنى الظاهر المتعدد وفي المستوى الثاني أو التحتي يتوحد الموضوع وتتحقق الوحدة الفنية أو الجمالية للقصيدة الجاهلية)) [2]، لذلك يسلط الباحث في هذا الفصل تقصي دقيق في أبرز المآلات التي وظفها شعراء المنصفات في قصائدهم وفي آلية ينهجها في تتبع المآلات من الأكثر حضوراً فيها إلى المآل الأدنى حضور نسأل الله السداد.

---

(1) الأدب العربي بين البادية والحضر ، د. إبراهيم عوضين ، وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، 1403هـ – 1983م : 131.

(2) دراسات في الأدب الجاهلي ، د. عبدالعزيز شبوي ، الناشر لخدمات الطباعة ، مطبعة حسان شارع الجيش القاهرة ، ط2 ، 1988م : 13.

المبحث الأول

الوصف في شعر المُنْصِفات

يراد بالوصف أنه ((وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفه حلاه))[1] وهو من أكثر المآلات اتساعاً، ولو تأمل كلّ قارئ للشعر الجاهلي أنَّ يبحث عن مآل أكثر فيه الشعراء الجاهليين أشعارهم ومثّل ذلك المآل الصدارة على المآلات الأخرى لوجد أنَّ مآل الوصف هو أكثر الموضوعات التي نسج فيها الشعراء قصائدهم وشغل هذا الموضوع أغلب قصائد الشعر الجاهلي.

بل إنَّ الكثير من القصائد حتى وأن كانت تحمل عنواناً بارزاً لغرض معين فأن القارئ يجد أنَّ مآل الوصف يتسرب إلى تلك القصيدة بصور مختلفة وفطّن القيرواني (ت456هـ) لهذه القضية بقوله ((الشعر إلا اقلّه راجع وإلى باب الوصف))[2]، وشكل الوصف حضوراً في أغلب القصائد ((فلا تخلو قصيدة منه لأنه وثيق الصلة بوجدان الشاعر وبطبيعته الإنسانية, فالشعراء ينفعلون وتتحرك عواطفهم ويتأثرون بما هو موجود حولهم من الظواهر البيئية لأنهم عاشوا في تلك البيئة التي التحقوا بترابها وتفاعلوا مع احداثها فوصفوا كلّ شيء وقعت عليه أعينهم في تلك البيئة الصحراوية))[3]، ودار الوصف في ذلك العصر في صور مختلفة يمكن ابرازها في **وصف الطبيعة,** ((وقد وصفوا كلّ شيء وقعت عليه أعينهم في صحرائهم))[4]، وأن الإنسان الجاهلي شغف

---

(1) لسان العرب : مادة(نصف).

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه, أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ), تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد , الناشر: دار الجيل , الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م: 226/2.

(3) ابو داود الإيادي ، دراسة موضوعية وفنية ، علي حسن جاسم الجنابي ، تموز ، طباعة ونشر وتوزيع ، ط1 ، 2012 م : 118.

(4) تاريخ الأدب العربي , العصر الجاهلي , شوقي ضيف : 214.

بالطبيعة وتسرب من ذلك الحب شعراً يستوعب جل مظاهرها ومما وعاه ((في الصحراء ورمالها وديارها واطلالها وما يمر عليها من رياح أو سُحب أو مطر ويتأمل كذلك في السماء والنجوم وكان يشيم البرق ويستعلم الغمام ويذكر شدة الحر وقسوة البرد))[1]، وكذلك وصف الشاعر الجاهلي **الحيوان** على نحو لم يغب حيوان من الحيوانات عن قصائدهم ومن أبرزها الناقة وقد أفرد اليها طرفه بن العبد في معلقته بذكراً ((كاد أنَّ لا يترك فيها عضواً ولا جزءاً دون وصف وتصوير والمفضليات والأصمعيات تزخر باحاديثهم عنها ومقدار ما كانوا يرون فيها من جمال))[2].

وتمازج هذا الحيوان مع يومياتهم وما يحل بهم ولا نستبعد الفكرة التي ((ان الشاعر القديم كان يظن الناقة رمزاً لكل هم أو اهتمام أساسي ولذلك لا ينافسها في تلك الافكار شيء))[3]، وحيوان آخر رافق الشاعر الجاهلي واجاد في وصفه أنه الخيل ((فكان طفيل الغنوي يلقب باسم طفيل الخيل لجودة وصفه اياها واشتهر شعراء آخرون بأجادة التعبير عن الخيل وغذوا الشعر العربي بها))[4]، وعنى الجاهليون بالخيل عناية بالغة ونجدها حبيبة إلى نفوسهم عزيزة عليهم يكرمونها ويوثرونها بالطعام والشراب ((وهي زينة الفارس يمتطيها في نزهة وصيده وتكون حسنهُ عند الغارة وسلاحه في الكُر ونجاته عند الفرار ولذلك خصوها بعناية فائقة))[5]، لذلك لا تخلو المُنْصِفات من ذكرها وحفلَ وصفهم بحيوانات أخرى لا يمكن أنَّ نستحضرها جميعاً لكي لا يطول بنا المقام فيها وسيرد ذكر بعض الحيوانات وبعض الطيور في هذا الفصل لما فرضه علينا الموضوع .

---

(1) الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) ، د. يحيى الجبوري ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، دار بجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2014 – 2015 م : 310.

(2) تاريخ الادب العربي , العصر الجاهلي , د. شوقي ضيف: 214.

(3) قراءة ثانية لشعرنا القديم ، د. مصطفى ناصف ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان : 115.

(4) تاريخ الادب العربي , العصر الجاهلي, د. شوقي ضيف : 214.

(5) الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) : 296.

وكان كذلك لوصف **الخمر** نصيب في أشعار الجاهليين، وفي الغالب لا تخلو قصائد الشعر الجاهلي من وصف الخمرة التي استجابت نفوسهم لها في ((وقفة هادئة متأملة فيها فن وإبداع، وقد تناولوا الخمر ووصفوا مجالسها واثرها في شاربيها وذكروا لونها وصفاءها وطعمها وما تفعله في النفوس))[1].

وندخل في وصف آخر وهو من أهم فنون الوصف في دراستنا من صور الوصف أنه **وصف الحرب** الذي امتد في ((كل شعر حاول الشعراء فيه أنَّ يعطوا صورةً لأي شيء يتصل بالحرب وذلك يشمل ما قاله الشعراء عن الحرب والغارة والبطل والخيل والأبل والأسلحة والعتاد والجيش والكتيبة والموقعة والضرب والرمي وما اصاب الأعداء والقتلى والجرحى والفارين والاسرى والسبايا))[2]، وسيكون هذا الوصف محور دراستنا وما داره معها من اوصاف وتشبيهات واحداث للطبيعة بكل ما فيها من موجودات .

ويفتتح **المُفَضَّل النُكْرِيّ** سجل وصف الحرب في منصفات العرب, وهذه الميزة واضحة في أغلب القراءات للقصائد الجاهلية؛ ((إذ وجد أنَّ معظم قصائد العرب الجاهلي أو كلّها لم تخل واحدة منها الحديث عن الحرب أو ما يتصل بها، وهذا ما دفع القدماء الأوائل إلى أنَّ ينتبهوا إلى علاقة الشعر بالحرب))[3].

ونحن نقرأ في هذا الغرض صوراً مختلفة من جوانب المعركة ذلك السجل الشعري لشعراء ذلك العصر, ((ولا يخفى أنَّ الشاعر الجاهلي قد سجّل ما حدث في عصره من

---

(1) الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) : 313.

(2) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، د. على الجندي ، الاستاذ بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ملتزم بالطبع والنشر دار الفكر العربي – القاهرة : 73.

(3) الصورة البشعة للحرب في الشعر الجاهلي(بحث) ، د. كامل عبد ربّة حمدان ، جامعة القادسية ، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، ع (3–4) ، 2007م ، م/6 : 1.

مخاصمات ومنازعات وحروب كانت تقوم بين قبيلة والقبائل الأخرى أو بين القبائل بعضها البعض))[1].

وعند المُفَضَّل النُكْرِيّ أبيات يسرد لنا واصفاً فيها الحرب بين (لكيز) وهي القبيلة التي نسب إليها الشاعر, وبين قبيلة أخرى تدعى (بنو لجيم) وحدثت المعركة في صحراء تسمى (ذي طريف)[2]، وما جرى في المعركة يقصة الشاعر لنا وصفاً : (البحر الوافر)

تَلاقَينا بِغَيبَةِ ذي طُرَيفٍ وَبَعضُهُم عَلى بَعضٍ حَنيقُ [3]

كان اللقاء المشحون بغضاً وحقداً بغيبة وهي المنطقة المنخفضة من الارض وفي طريف وهي موضع في دولة البحرين ثمّ يوصف الشاعر صوت كلا الطرفين بختيار تشبيه يقترب من دوران الرحى أو حركة الريح [4] : (البحر الوافر)

كَأَنَّ هَزيزَنا يَومَ التَقَينا هَزيزُ أَباءَةٍ فيها حَريقُ [5]

وهو يبين أنَّ اصوات كلا الطرفين كأنّها تحترق في مجموعة من نبات القصب, وإن هذا المعنى الذي استعان به الشاعر في تشبيه الأصوات بالحريق إنما تدلّ على ما امتلكه الشاعر ((من الرصيد الثقافي الكوني في استدعاءاته لصور الطبيعة، وفي تقديم الصيحة كجزء منها))[6]، وكذلك ما تحمله هذه الصيحة من معانٍ وهي ((مشحونة بدلالة عامة تشدد

---

(1) ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية) ، ناظم خليل حسين اللوقة ، اشراف أ.د. صادق عبدالله أبو سليمان ، قدم هذا البحث للحصول على رسالة الماجستير ، جامعة الازهر – غزة ، فلسطين ، 1432هـ – 2011م : 9.

(2) ينظر المُنْصِفات : 6.

(3) الأصمعيات ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت216هـ) ، شرح وتحقيق مجيد طراد ، دار الفكر العربي بيروت لبنان 2003م : 142.

(4) ينظر المصدر نفسه : 16.

(5) الأصمعيات : 143.

(6) مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة ، النقد الموضوعاتي وقصيدة الحرب (الصوت والعين والوجه) ، نموذج ياسين طه حافظ ، د. سعيد علوش ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط1 ، 1987م : 68.

علـى الاعتـداد والقـوة والاحتجـاج والعضـوية الفيزيولوجيـة التـي ترسـم علـى ملامـح الفم والحنجرة والوجه)) [1].

وفي غاية الواقعية نجد وصفاً حيادياً في تصوير جثث القتلى عند الشاعر : (البحر الوافر)

بِكُلِّ قَرارَةٍ وَبِكُلِّ ريعٍ بَنانُ فَتىً وَجُمجُمَةٌ فَليقُ [2]

حيث صور القتلى متشابهة بين قوم الشاعر وكذلك عدوهم ثمّ حالت الموت واحدة ولحظات الانفاس الاخيرة لدى القتلى هي ذاتها، وفي القرارة، وهي الأرض الثابتة ونقرأ هذه الصورة [3] : (البحر الوافر)

وَكَم مِن سَيِّدٍ مِنّا وِمِنهُم بِذي الطَرفاءِ مَنطِقُهُ شَهيقُ

يُهَزهِزُ صَعدَةً جَرداءَ فيها سِنانُ المَوتِ أو قَرنٌ مَحيقُ[4]

ويلتقط الشاعر صور من الوصف إلى ما بعد الموت لتلك القتلى وهي أنَّ الاجساد صارت طعاماً للسباع وكذلك الطيور كالغربان [5] وهو يقول : (البحر الوافر)

فَأَشبَعنا السِّباعَ وَأَشبَعوها فَراحَت كُلُّها تَئِقٌ يَفوقُ

تَرَكنا العُرجَ عاكِفَةً عَلَيهِم وَلِلغِربانِ مِن شِبَعٍ نَعيقُ [6]

وفـي معطيـات هـذا الوصـف نجـد أنَّ الشـاعر كـان متميـزاً بواقعيتـة بطبيعتهـا ((لنقـل الحقـائق كمـا هـي الحيـاة دون تغيـر أو تحـوير))[7]، لـذلك ذهـب طـراد الكبيسـي فـي أنَّ الواقعية تجلت في ((المُنْصِفات بوضوح والنزعة القصصية في رواية المعركة وشي من

---

(1) مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة: 68.

(2) الأصمعيات : 143.

(3) ينظر: المصدر نفسه : 21-22.

(4) المصدر نفسه : 142.

(5) ينظر : المُنْصِفات : 22.

(6) الأصمعيات : 143.

(7) الجمالية والواقعية في نقدنا الأدبي الحديث ، عصام محمد الشنطي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، نيسان ، 1979م ، ط1 : 55.

الصنعة المتأنية المتأتية في الغالب من التكتيك واعادة السبك))[1]، وفي سردنا لهذا الوصف الذي ذكره المُفَضَّل النُكْرِيّ قرأنا ((العمل الادبي يتحرك حركة ذاتية خاصة به لا حركة تابعة لذاتية صاحبه وكأن حركته الذاتية مبدأ فوق الفرد))[2].

أما الوصف **عند العباس بن مرداس** (ت18هـ – 639م) فقد جاء بعد إن حدثت معركة بين قبيلة بنو سليم وقائدهم العباس بن مرداس وبين قبيلة مراد بقيادة عمرو بن معد يكرب الزبيدي وفي منطقة تسمى تثليث في اليمن [3], ويسوق لنا احداث هذه المعركة الشاعر بقوله : (البحر الطول)

بجَمْعٍ يريدُ ابنَىْ صحارٍ كلَيهمَا وآلَ زُبيدٍ مُخطِئاً ومُلامِساً[4]

يصور الشاعر اجتماع آل صحار وآل زبيد على قتال بني سليم فسارت اليهم قبيلة الشاعر يقطعون البراري الاقفار وفي تسع وعشرون ليلة على حد تعبير الشاعر [5]: (البحر الطول)

سمَوْنا لَهُمْ تِسْعًا وعشرينَ ليلةً نَجُوبُ من الأعراضِ قَفْرًا بَسَابِسَا [6]

وامام مظهر آخر من الوصف يرى الباحث أنَّ عبق الإنصاف سما في هذا البيت : (البحر الطول)

فبِتْنَا قُعُودًا في الحديدِ وأصبحُوا عَلَى الرُّكُبَاتِ يَحْرُدُونَ الأنافِسَا [7]

---

(1) شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام رؤية منهجية وأخلاقية ، طراد الكبيسي ، منشورات دائرة الشؤون الثقافية للنشر – بغداد ، الجمهورية العراقية ، 1983م : 155.

(2) الجمالية الواقعية في نقدنا الأدبي الحديث : 21.

(3) ينظر المُنْصِفات : 53.

(4) ديوان العباس بن مرداس السّلمي ، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة بيروت – شارع سوريا : 92.

(5) ينظر : المُنْصِفات :53.

(6) ديوان العباس بن مرداس السّلمي: 91.

(7) المصدر نفسه : 91.

فبينما قوم الشاعر يلبسون عدة القتال بينما كان الخصم يقطعون لحوم الحيوانات للأكل ويرى الباحث أنَّ هذا الوصف يخفي بعداً آخر يريد الشاعر الكشف عنه هو أنَّ الخصم يتمتع بصحة وقوة وهو يستلذون بلذة الطعام وهذه النعمة مقدسة عند الشاعر الجاهلي ونهشل بن حرى صرح ذلك : (البحر الطول)

إذا فاتَ مِنكَ الأَطيَبانِ فَلا تُبَل مَتى جاءَكَ اليَومُ الَّذي كُنتَ تَحذَرُ [1]

والاطيبان التي ذكرهما ((لذة النكاح ولذة الطعام ، اللتان رأهما الشاعر إذا فات المرء فعليه أنَّ لا يبالي إذا جاءه الموت))[2]، هذا يبصرنا بأن الشاعر الجاهلي متحكم في اختيار الفاظه ووظفها في أماكنها الملائمة وان الشاعر في ذلك العصر((لم يكن كما قد نتصوره انساناً بدائياً وساذجاً أو سطحياً بل كان انسان مرهفاً ثاقب البصيرة وعمق النظرة مليئاً بحكمة الحياة))[3] ، ويوصلنا الشاعر إلى حقيقة يحبها العربي في يومياته أنها ((التبكير)) وهو الاستيقاظ مبكراً والاستعداد لخوض غمار الحياة لذلك هذا الأمر قد عجب به الشاعر عند خصمه : (البحر الطول)

لَم أَرَ مِثلَ الحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً وَلا مِثلَنا لَمّا اِلتَقَينا فوارِسا [4]

وفي مستوى من المناصفة في الوصف بين الطرفين الشاعر وقومه وخصمهم جعل الشاعر الثناء على كليهما فالخصم هو المبكر اليقيظ بهمة ونشاط وهذه محل تبجيل عند العرب وبشار بن برد يضع نصب اعيننا هذا المعنى : (البحر الرمل)

بَكِّرا صاحِبَيَّ قَبلَ الهَجيرِ أنَّ ذاكَ النَجاحَ في التَبكيرِ[5]

---

(1) عشرة شعراء مقلون : 115.

(2) الأداء الموضوعي والفني في شعر نهشل بن حري : 96.

(3) ذاكرة الشعر رؤئ ومواقف ومراجعات ، سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا ، بغداد ، شارع المتنبي ، ، ط1 ، : 195.

(4) ديوان العباس بن مرداس السّلمي: 92-93.

(5) ديوان بشار بن برد، جمعة وشرحه وكمله وعلق عليه فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الامام الشيخ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وزاره الثقافة ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، ٢٠٠٧م : 203.

ويطل علينا الشاعر العباس بن مرداس في بيان أسلوب آخر متبعاً في أغلب المعارك يكشفهُ سياق البيت : (البحر الطول)

وأحصصنا منهم فما يبلغوننا فوارس من يحسبون المحاسبا [1]

إنه فن الأسلوب الدفاعي فالمعركة في الوقت التي تحتاج فيه إلى الإقدام لحسم المعركة تتطلب في الوقت ذاته التحرز من استنزاف كثير من القتلى وحتى الخسارة في عدة الحرب ولذلك اهتم العرب بكل الاساليب التكتيكية التي تهدف لتحقيق النصر دون الخسائر ومن المصاديق على ذلك الخطة الإسلامية الناجحة لحفظ المسلمون في معركة الخندق [2]، وكذلك الاهتمام بالمشاورة قبل خوض المعارك وإعطاء الأولية لصحاب الرأي السديد في المعارك والأخذ بآرائهم حتى قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((رأي الشيخ أحب اليَّ من جلد الغلام))[3]، المراد بجلد الغلام ((صبره على القتال))[4]، وفي هذا احالة على أهمية الرأي في خوض الحرب والمتنبي كان مستوعباً لهذا المفهوم بقوله : (البحر الكامل)

الرَأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُجعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني[5]

وهذه القضية التكتيكية وجدت في معارك العرب وقد ذكرها القرآن الكريم ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ **[سورة التوبة : 57]**، وفي كلّ من هذه المواضع أكثر من

(1) ديوان العباس بن مرداس السّلمي: 93.

(2) ينظر تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف , ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م : 233/2.

(3) نهج البلاغة : 518/3.

(4) المصدر نفسه : 518/3.

(5) ديوان المتنبي ، شرح الشيخ ناصيف اليازجي ، تقديم د. ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال – بيروت : 204.

مدلول من أبرزها عني في الملجأ ((الحرز من الجبال والمغارات الغيران في الجبال))[1]، ومن أبرز ما يراد في لفظة مدخلا أنها ((النفق في الارض وهو السرب))[2] ، وكلا الطرفين التزما بأسلوب الدفاع لكسب زمام الانتصار من الطرف الاخر.

في مُنْصِفة **عبد الشارق الجهني** بدأ وصفه في الاستعداد للقتال وخوض النزال ذلك هو المدخل الذي تمسك به الجهني وهو يسرد استعداد قبيلته ((جهينة)) والقبيلة الخصم ((بهثة))[3] : (البحر الوافر)

فجاؤوا عارضا بردا وَجِئْنَا كَمثل السَّيْل نركب وازعينا

فلم نَدَعْ قَوساً وسَهْماً مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشوا إلينَا [4]

وهذا الوصف وارد متعارف ليس بعيداً عن شعراء ذلك العصر إذ ((كان العربي يبذل كلّ ما يستطيع لتقوية نفسه عدة وعدداً فجمع من الأسلحة والعتاد الحربي كلّ ما امكنه الحصول عليه من خيرها وأحسنها وعمل على أنَّ يكون أكثر عدداً؛ لأن الكثرة العددية كان يخشى باسها)) [5]، ثمّ ينتقل الشاعر بالمتلقي إلى الذروة في النزال : (البحر الوافر)

تلألُؤ مزنةٍ برقَتْ لأخرى إذا حجلوا بأسيافٍ ردينا [6]

وأننا كسحاب يلاقي سحابة أخرى ولكن ذلك اللقاء هو الحسم إذ كان بالسيوف ولم يذكر هذا السلاح إلا لما آلت إليه المعركة ولكي تحسم نتائجها إذ يمثل ((السيف في

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، الامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبعة مقابلة على الاجزاء المطبوعة ، تحقيق : الاستاذ محمود شاكر ومصححة ومرقمة الأحاديث والأثار وملحقة بفهرس للاحاديث وآخر للأشعار والآيات كلها برسم المصحف العثماني ، دار الإعلام ، الأردن ، دار ابن جزم ، بيروت – لبنان ط1 ، 1423هـ – 2002م : 194/10.

(2) المصدر نفسه 194/10.

(3) ينظر المُنْصِفات : 32 .

(4) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام : 315/1 – 317 .

(5) شعر الحرب في العصر الجاهلي :21.

(6) شرح ديوان الحماسة : 317.

نظر العرب هو السلاح الرئيسِ الذي يحرص عليه ويحمله العربي ويستعمله وقد كانت تعد الأسلحة الأخرى بالنسبة له اسلحة ثانوية))[1] .

ويرى الباحث أنَّ هذا المعنى تلَّقفهُ الكثير ، وقول المتنبي : (البحر الطول)

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيّاتِ حتى طَرَحتَها وَحتى كأنّ السّيفَ للرّمحِ شاتِمُ[2]

ولقد أظهر الشاعر هذه الميزة للسيوف ويفيدنا بالقول إني ((تركت الرماح في القتال وأزدريتها لأنها سلاح الجبناء وسلاح الشجعان السيف))[3]، بل وفي معنى أبعد من ذلك في اعارت السيوف لسان لكي تعيَّر ((الرمح لأنه يطعن من بعيد والسيف من قريب فكأنه يشتمه بالضعف))[4].

والشّاعر في تناص مع الجهني وهو يطرح الردينيات مفسراً لنا الأحداث في اشتداد القتال[5] وحسم المعركة صار مرهون بالسيوف : (البحر الطويل)

ومَنْ طَلب الفتح الجليل فإنما مَفَاتيحُه البيضُ الخِفافُ الصوارِمُ [6]

ولسان الحال أنه ((من ارتقب النصر الجليل وحاوله وطلب الفتح المبين فإنما مفاتيح ذلك السيوف الصارمة))[7]، والمتأمل في رقي الوصف عند الجهني أنَّ القوم في سير محجلين والتحجيل هو القيد، أي كأنهم يسيرون مقيّدين بينما يسير قومه ردينا وهو المسرع في السير ثمّ يكون التشبيه بالسيل من الوصف الذي لازم كلّ الخصمين وكذلك الكر وهو : (البحر الوافر)

---

(1) ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي (دراسة دلالية) (رسالة) : 66.

(2) ديوان المتنبي : 166.

(3) في التذوق الجمالي لقصيدة أبي الطيب المتنبي ((على قدر أهل العزم تأتي العزائم)) ، محمد علي أبو حمره ، عضو هيئة التدريس بالجامعة الأردنية – بهان ، دار الجيل – بيروت : 54.

(4) المصدر نفسه : 54.

(5) ينظر : المصدر نفسه :56.

(6) ديوان المتنبي : 167.

(7) المصدر نفسه : 55.

فمن يرَنا يقُلْ سيل أتِيٌّ نكرٌ عليهُمُ وهُمْ علينا [1]

بحيادية يقول الجهني : (البحر الوافر)

شَدَدْنا شدةً فقتلتُ منهم ثلاثةَ فتيةٍ وقتلتُ قينا

وشدُّوا شدةً أخرى فجرُّوا بأرجُل مثلهم ورَمَوْا جُوَينا [2]

وهذا من جهة الثناء على الخصم أما الثناء على قومه فهم الفوارس الذين انطلقوا على عدوهم للانتصار عليهم وفي ختام المعركة آلت الأحداث إلى هدنة ارتضاها الطرفان أثر نتيجة حتمية للعناء والإرهاق الذي أصابهم في المعركة وكأن الليل كفيلٌ بأن يكون ملاذاً للراحة والسكينة وعلى ذلك الصعيد من الأرض [3]، وهذا ما أخبره الشاعر لنا في قوله : (البحر الوافر)

وباتوا بالصَّعيد لهم أُحاحٌ ولو خفَّتْ لنا الكَلْمى سَرَينا [4]

وتتصدر عادة الصراخ الوصف عند **عمرو بن براقة** وهي عادة جارية اعتادها المقاتلون في ساحات القتال في العصر الجاهلي ويقال ((استطرخ الإنسان إذا اتاه الصارخ وهو الصوت يعلمه بأمر حدث يستعين به عليه))[5]، ومن خلال الدراسات التي دارت حول الحروب في العصر الجاهلي تذهب أنَّ هناك ((شخصاً يقوم بمهمة النذير لقومه))[6]، وتبرز مهمته ((في ابلاغ قومه حين يقترب العدو منهم يقال له الصريخ ويقال

---

(1) المنصفات : 33.

(2) شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام: 317.

(3) ينظر المُنْصِفات : 47.

(4) شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام : 318.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، طبعة ثانية مصورة ، 1415هـ – 1994م : 292/7.

(6) عادات الحرب عند العرب قبل الإسلام ، أ.م.د. سعد عبود سمار ، جامعة واسط ، كلية التربية قسم التاريخ ، مجلة كلية التربية / واسط ، ع23 : 679.

ويقال الصارخة لصارخة لصوت استغاثة ومنه سمعت صارخة القوم))[1]، وكذلك تهدف تلك إلى الدعوة لقتال مقرونة بنفوس يملؤها الغيظ من القسوة والرغبة في الانتقام وعمرو بن براقة يوضح لنا هذا الاستعداد للطرفين والمحاربين وكلاً منهما ينادي ويهيب بالآخرين استعداد للقتال : (البحر الوافر)

وقامَ مصوّتٌ منّا ومنْهُم وكلٌّ ينتحِي حنقاً وبيلا[2]

واستمر هذا الصوت من الطرفين وهو يحث المقتلون للاستعداد للحرب : (البحر الوافر)

وقامَ مصوّتانِ برأسِ عثٍّ أقامَ الحربَ والعيَّ الطَّويلا[3]

وهذان المصوتان يعلنان إقامة الحرب والاستعداد كذلك للجهد والعناء.

ومن الاوصاف التي قصها الشاعر عمرو بن براقة في تلك الحرب هي حال نسوة العدو وفي تشبيه في طياته حمل التنكيل فيقول : (البحر الوافر)

كأنَّ نساءهُمْ بقرٌ مراجٌ خلالَ شقائقٍ تطأُ الوحولا[4]

واختار الشاعر لوحة التشبيه ومصدرة بأداة التشبيه (كأن) ليضفي لنا صورة الانكسار التي حلت بالخصم ولاسيما أنَّ هذا الانكسار لم يكن قد اصاب المقاتلون الخصم في ساحة الحرب بل أنَّ الأمر أتسع ليصل إلى النساء وأنّهُنّ كبقر تسير على أرض قد أصابها الوحل نتيجة المطر, وهذه الأرض لم تعد صالحة للسير عليها[5]، وأن هذا التشبيه يكشف لنا اهمية الحيوان والنظرة إليه في ذلك العصر وكما بينا في مقدمة هذا الفصل فهو ((جزء من البيئة التي يعيشونها ومقوّم من مقوماتها فكانوا يجدون في صفات

---

(1) عادات الحرب عند العرب قبل الإسلام: 679.

(2) عمرو بن برّاقة الهمْداني (من مخضرمي الجاهلية والإسلام) سيرته وشعره ، د. شريف راغب علاونة ، دار المناهج ، عمّان ، ط 1 ، 1424 هـ – 2005 م: 102.

(3) ((**برأسِ عثٍّ**)) فيما إنه يبدو اسم موضع, ولكن لا يوجد له خبر في معاجم البلدان ، ينظر عمرو بن برّاقة الهمْداني (من مخضرمي الجاهلية والإسلام) سيرته وشعره : 102.

(4) المصدر نفسه : 103.

(5) المصدر نفسه : 103.

بعض الحيوانات مضرباً للمثل فأمثال العرب اكثرها تضرب بالبهائم، فلا يكادون يذمون أو يمدحون إلا بذلك))[1]، وهذا يظهر لنا الإمكانية التي بلغها الشاعر الجاهلي في توظيف التشبيه الذي ((هو الملمح الأول الذي يستلهمه الشاعر من الظواهر البيئية المحيطة به وهو الهاجس الحسي الأول لدى الشاعر الذي يولد المحاكاة لديهم)) [2].

ويعرض لنا الشاعر حقيقة يتهرب من ذكرها الكثير تتجلى في سيطرة وتمكن الخصم على الشاعر وقومه إلا أنَّ المقاتين الموكلين بالتقدم أو إيقاف القتال سمحوا لنا بالهروب وبعد دخولنا القاع وكان فيه ((اللصيق الغبار الجائل في الجو))[3]، فهربنا ونقرأه يعترف بذلك : (البحر الوافر)

وقامَ لنا ببطنِ القاعِ ضيقٌ فخلّى الوازعونَ لنا السّبيلا[4]

وأما حال القتلى فقد رسمت بهذه الصورة : (البحر الوافر)

فأيّاً ما رأيتَ نظرتَ طرفاً عليهِ الطّيرُ منعفِراً تليلا [5]

وفي وصف هؤلاء القتلى رأيان **الرأي الأول** أنَّ هؤلاء القتلى هم من ((الطرف بكسر الطاء الكريم من الفتيان)) **والرأي الآخر** يذهب لو أنك أبصرت بعينيك لوجدت خيولاً تأكل لحومها الطير [6].

---

(1) توظيف الحيوان في شعر محمود درويش ديوان سرير الغربة انموذجاً تحليلياً (بحث)، حنان إبراهيم العمايرة ، رغد على الزيون ، قسم اللغة العربية ، كلية السلط للآداب والعلوم الاسلامية ، جامعة البلقاء التطبيقية ، كلية الآداب والعلوم الاسلامية الأردن، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2017 م ، م/44 ، ع 1 : 44.

(2) أبو داود الإيادي ، دراسة موضوعية فنية : 93.

(3) عمرو بن برّاقة الهمْداني (من مخضرمي الجاهلية والإسلام) سيرته وشعره: 104.

(4) المصدر نفسه : 104.

(5) المصدر نفسه : 104.

(6) ينظر المُنْصِفات في الشعر الجاهلي : 418.

وكذلك لم يخلُ شعر **عمرو بن كلثوم** من الوصف في أبيات مُنْصِفتهِ وأبرزها ما جاء في معلقته التي كان محورها وغرضها الاساس الفخر وما استمكن الشاعر فيه من تميز في اختيار صور الفخر جعلت من هذه المعلقة نشيد قومي تغنت به قبيلة تغلب تسجل فيه مفاخرها وكل مأثرها التي بمثابة ردة فعل تولدت في نفس الشاعر بعد تأزم العلاقة بين قبيلة بكر وتغلب في سلسلة من المعارك دار بين تلك القبيلتين وتطلب الظرف أنْ يكون اللجوء إلى الملك عمرو بن هند بغض النزاع واطفاء نار الحرب ولكن الذي حدث أنَّ الملك مال ووقفه بجانب كفة قبيلة بكر، وبعد أنَّ سرد لنا الشاعر فيها ((احداث معركة وقعت بين قومه وبين خصومهم في قالب قصصي يكشف فيه عن شجاعتهم في مواجهة خصمهم العنيد المدجج بالسلاح))[1]، ولكننا وجدنا أنه أشار بلمح الإنصاف إلى أعدائه وان القتلى من اعدائهم من الأبطال : (البحر الوافر)

كَأَنَّ جَماجِمَ الأَبطالِ فيها وُسوقٌ بِالأَماعِزِ يَرتَمينا [2]

وهذا بذاته إنصاف كبير بحق قتلى الخصم فهم ليسوا جبناء ولم يفروا في معركة واي معنى آخر يمكن أنَّ تستوعبه كلمة الأبطال ومع ما أوردة الشاعر من أسلوب من الإنصاف في الوصف إلا أنَّ البيت الشعري لا يجتاز ويخرج من إطار الفخر الذي تميزت بهِ القصيدة وذلك في التشبيه بين المشبهة جماجم الأبطال ويشبه به ((السوق)) ويقصد به حمال البعير أما الاماعز فهو المكان الذي فيه تكثر الحجارة فكان قاصداً ((كأن جماجم الشجعان منهم احمال أبل تسقط في الاماكن الكثير الحجارة))[3]، ولذا فإن هذا البيت حملَ اشارة إلى كثرة قتلى العدو ولذا استمر الفخر يتماشى مع جميع أبيات المعلقة وعلى الرغم من أنَّ الشاعر أنصفَ خصمه في بعض أبيات القصيدة ((ولكن العزة والانفة تتفوق على الإنصاف لديه

(1) المُنْصِفات في الشعر الجاهلي ، دراسة ونقداً ، : 181.

(2) ديوان عمرو بن كلثوم : 74.

(3) شرح المعلقات السبع , الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله , تحقيق : لجنة التحقيق في الدار العالمية , الناشر الدار العالمية , 1993م : 107.